

## دلالة التوارد واستعمالاته

د.إبتهال نافع سلمان  
قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العراق

### المخلص

اللغة في وظيفتها الأسمى هي وسيلة لتحقيق التواصل والتفاهم بين الأفراد والتعبير عنهم ، وقد أخذت الدراسات والبحوث حولها جوانب مختلفة بدءاً من فصاحتها إلى علومها المتنوعة وبكافة مستوياتها الصوتية منها والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية ، وتخلص جميعها إلى الوقوف على التغيرات التي تعرضت لها ومعرفة مدى قربها من الفصاحة كونها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ثم التراث العربي ، وللتغير في اللغة قوانين وقواعد تحكم حدوثة وتحدد مساراته وتكشف أبعاده ودرجات وقوعه ، فهو يسري ببطء في الأصوات والصرف والنحو ، ويقع سريعاً في مستويات المفردات والدلالة.

أما مفهومها الفصيح فقد عرّفها إميل قائلاً : هي لغة القرآن الكريم ثم التراث العربي جملةً والتي تستعمل اليوم في المعاملات الرسمية ، وفي تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري عامة ، وغير بعيد عن هذا التعريف يقول مصطفى حركات : أما النظام الاكاديمي فميدانه المكتوب ، وظهوره في الصحافة والكتب بكل أصنافها ومستوياتها من الطبخ حتى الرواية والنص العلمي.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، التوارد.

## The Significance and Uses of Convergence

Dr. Ibtihal Nafie Salman

Department of Arabic Language, College of Islamic Sciences, University of Baghdad,  
Iraq

### ABSTRACT

Language, in its highest function, is a means of achieving communication and understanding between individuals and expressing themselves. Studies and research on language have addressed various aspects, from its eloquence to its diverse sciences and all its levels—phonetic, morphological, syntactic, lexical, and semantic. All these studies aim to identify the changes language has undergone and to determine its proximity to eloquence, given its status as the language of the Holy Quran, the Prophetic Hadith, and the Arab heritage. Change in language is governed by laws and rules that regulate its occurrence, determine its paths, and reveal its dimensions and degrees of impact. It proceeds slowly in phonetics, morphology, and syntax, and rapidly at the levels of vocabulary and semantics.

As for its formal definition, Emile defined it as: the language of the Holy Quran and the entirety of the Arab heritage, which is used today in official transactions, in the writing of poetry and prose, and in intellectual production in general. Not far from this definition, Mustafa Haraqat says: The academic system's domain is the written word, and its manifestations are in journalism and books of all kinds and levels, from cookbooks to novels and scientific texts.

**Keywords:** Arabic language, convergence.

## المقدمة

وفي تعريف مصطلحات اللغة العربية قد لا يتفق بعض النقاد أو الأدباء ، فقد تجد منهم من يحددها بشرط ، ومنهم من يُضيف آخر ومنهم من يحذفه ويشترط غيره ، كما أنّ جزءاً من هذه التعاريف والمصطلحات مرّت في عملية تطور وتغيّر أو اختلفت في فتراتٍ زمنيةٍ مختلفة ، كلّ ذلك التغيّر فيها ناتج عن وضع الانسان لها ، وقد يتحدث فيها الأدباء بمعانٍ تختلف في اتساعها وضيقها بحيث تتنوع مقاصدهم ودلالاتهم ضمن سياقاتها المختلفة وعند استعمال ذات المصطلح.

وهذا ما ينطبق على تعريف التوارد فهناك من يتفق من اللغويين والأدباء في تعريفه بحسب استعماله ، وهناك من يُورده بذات الألفاظ متغيرة المعاني ، فتارة هي متفقة المعنى وتارة أخرى متنافرة المعنى ضمن ما يُعرف بالمصطلح نفسه ، تتعدد فيه الألفاظ بحسب سياقاتها ومقاصدها شرط تضمّنها معنىً مشتركاً قائماً على لفظها ومصطلحاً عليها صياغةً ودلالةً وبيانياً.

أما هذا البحث المتواضع فقد تكوّن من مبحثين بكلّ منهما نقطتان ، تناولت في مبحثه الأول بعد المقدمة : دلالة التوارد والتعريف به وفيه : أولاً : في اللغة ، وثانياً : في الاصطلاح ، أما مبحثه الثاني فقد تحدّث عن استعمالته وتضمّن : أولاً : في النحو والمعجم ، وثانياً : في الشعر والأدب ، بعد كلّ ذلك تأتي الخاتمة والتوصيات ثمّ مصادر البحث ومراجعته.

## المبحث الأول

### دلالة التوارد والتعريف به

#### أولاً : التوارد في اللغة :

يرد التوارد في اللغة بمعانٍ مختلفة ، يُقال : تَوَارَدَ القَوْمُ المَاءَ ، أي : ذَهَبُوا إليه معاً ، وتَوَارَدَ الشاعِران ، أي : اتفقا في معنى واحدٍ بلفظٍ واحدٍ من غير أن ينقل أحدهما عن الآخر ، وتَوَارَدَ القَوْمُ إلى المكانِ أي : حَضَرُوا إليه الواحد بعد الآخر<sup>1</sup>.

وقال ابن منظور : وردَ بلد كذا ، وماء كذا إذا أشرف عليه دخله أو لم يدخله ، والورد : النصيبُ من الماء ، وأوردَه الماء : جعله يردُه ، والموردة : الطريقُ إلى الماء<sup>2</sup>.

وجاء في معجم العربية المعاصرة : وَرَدَ الشخْصُ عليه : أَقْبَلَ عليه ، وَأورَدَ الشخْصُ الشَّيْءَ : أَحْضَرَهُ وَجَلَبَهُ (وَأورَدَ التَّاجِرُ إلى دُكَّانِهِ بضاعةً جَدِيدَةً) ، تَوَارَدَ الشاعِران : عَبَّرَا عَنِ المَعْنَى ذاتِهِ بِاللِّفَظِ عَيْنِهَا دونَ أَنْ يَتَنَجَّلَ أَحَدُهُما الآخرَ ، وكلمة (مورد) مُفْرَد جَمْعُهُ (مَوارِد) : وَهُوَ مَكَانٌ تَجَدُّ فِيهِ الحَيَواناتُ ماءَ الشَّرْبِ ، مَصْدَرٌ وَمَنْبَعٌ مَوارِدٍ طَبِيعِيَّةٍ<sup>3</sup> ، أما لفظه أي (الورود) فهو مُشْتَقٌّ مِنَ الفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ (وَرَدَ) ، مِنْ مَعَانِيهِ : الاِشْرَافُ عَلَى المَاءِ وَغَيْرِهِ دَخَلَهُ أَمْ لَمْ يَدْخُلْهُ<sup>4</sup>.

وَتُسَيَّرُ دَلالاتُ التَّوارِدِ وَمادَتُهُ فِي المَعاجِمِ العَرَبِيَّةِ إلى مَعانٍ مُحدَّدة ذاتِ أَهمِيَّةٍ نَذَكُرُ مِثْها : وَرَدَ الشَّيْءُ أَحْضَرَهُ ، يُقالُ : اسْتَوْرَدَ السِّلْعَةَ وَنَحَواها : أَي جَلَبَها مِنْ خَارجِ البِلادِ ، وَالْمَورِدُ : المَنْهَلُ ، وَالطَّرِيقُ ، وَمَصْدَرُ الرِّزْقِ<sup>5</sup>.

#### ثانياً : التوارد في الاصطلاح :

يَهْتَمُّ عِلْمُ اجْتِماعِ اللُّغَةِ بالتَّوارِدِ كَنَتِجَةِ طَبِيعِيَّةٍ لِثَنائِيَّةِ اللُّغَةِ وتأثيرها وتعدديتها واندثارها بمرور الزمن ، ويُقصدُ بِهِ أي - التوارد - هو ورودُ كلمةٍ أو أكثرَ مَعَ بعضها وعدمُ ورودها مَعَ بعضها الآخر ، فلكل كلمةٍ معنى يصحبها فيه كلماتٌ آخر لدرجةٍ يمكن فيها تخمينُ الكلمةِ التي تأتي بعدها ، فَالتَّوارِدُ مِنْ ظَواهِرِ المُفْرَداتِ المُعْجَمِيَّةِ ، وَيَرْجِعُ ذَلِكَ إلى أَنَّ مُفْرَداتِ المُعْجَمِ تَنْتَظِمُ بِمجموعاتٍ أو مجاميعٍ يَتَوَارَدُ فِيها بعضُ الكَلِماتِ مَعَ بعضها الآخر كما وفي الوقتِ ذاته يَتَنافَرُ مَعَ بعضها الآخر ، فَالأفعالُ مِثْلاً تَتَشَكَّلُ بِمجموعاتٍ يَتَوَارَدُ مَعَ كُلِّ مجموعةٍ مِنْها مجموعةٌ مِنَ الأَسْماءِ وَيَتَنافَرُ مَعَ مجموعةٍ أُخرى مِنَ الأَسْماءِ ، هَذَا هُوَ مَعْنَى قولِ البَلاغِيينَ : اسنادُ الفِعْلِ إلى مَنْ هُوَ لَهُ أو إلى غيرِ مَنْ هُوَ لَهُ<sup>6</sup> ، وَيَطْلُقُ عَلَى مُصْطَلِحِ (التَّوارِدِ) مُصْطَلِحاتٌ أُخرى كَ :

<sup>1</sup> ينظر : لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (711هـ) ، تحقيق : عبد الله علي كبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، 1986م : 4810/6 ، والمعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، الطبعة الرابعة ، مصر ، 1425هـ - 2004م : 1024 ، ومعجم الرائد : جبران مسعود ، الطبعة السابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1992م : 251.

<sup>2</sup> ينظر : لسان العرب : مادة (ورد) : 457-456/3.  
<sup>3</sup> ينظر : معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار عبد الحميد عمر (1424هـ) ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، 2008م : 2423-2422.

<sup>4</sup> ينظر : مادة (ورد) : 415/1.  
<sup>5</sup> ينظر : المعجم الوسيط : 1024.

<sup>6</sup> ينظر : دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب : تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1991م : 230 ، والبيان في روائع القرآن : تمام حسن ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1993م : 156-155.

التضام و المصاحبة وهذين المصطلحين من اهتمام فيرث ، لأنه كان معنياً بالوقوع المشترك للكلمات داخل الجمل ، كما ذهب إلى استطاعتنا معرفة الكلمة من خلال المجموعة التي تلامزها<sup>1</sup>.

وبناءً على ذلك يمكننا القول بأن التوارد : هو الاقبال على الشيء والأخذ منه ، ويُستعمل كذلك للدلالة على مصدر الشيء ومنبعه ، ومن التعريفات المطابقة لذلك ما جاء به صالح بلعيد من خلال قوله : إلا إن التوارد هو ما يحصل بين لغتين تأخذ الواحدة من الأخرى ، فاللغة الأضعف تأخذ من اللغة الأقوى والعكس ، بينما التدخل اللغوي يكون بأخذ اللغة الأضعف من اللغة الأقوى فقط ، ويعرفه اللسانيون الغربيون بأنه : تأثير اللغة على اللغة التي يتعلمها المرء أو ابدال عنصر من عناصر اللغة الأم بعنصر من عناصر اللغة الثانية و يعني العنصر هنا صوتاً أو كلمة أو تركيباً<sup>2</sup>.

ويقابل مصطلح (التوارد) أيضاً مصطلحاً آخر استعمله تشومسكي وسماه (قيود الانتقاء) ، ظهر عنده في إطار اهتمامه بالتكوين الدلالي أو التحليل الدلالي للجمل والعبارات لمعرفة الصحيح منها أو المقبول دلاليًا و غير المقبول دلاليًا أيضاً ، كما في : الفكرة قطعت الشجرة ، و : اشتعل الثلج في الماء ، والعبارة المشهورة في البحث اللغوي المعاصر : الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام غاضبة ، و يعد مصطلح (قيود الانتقاء) الأساس الذي قامت عليه نظرية (قواعد الإسقاط) عند كاتز وفودور التي تقوم على وضع قواعد للتحليل الدلالي للجمل والعبارات يتوقف الوصول إليها على توافق القراءات المعجمية للوحدات داخل هذه الجمل والعبارات ، فإذا تعارضت السمات الدلالية للوحدات تعد الجملة أو العبارة شاذة دلاليًا<sup>3</sup>.

## المبحث الثاني

### استعمالات التوارد

#### أولاً : التوارد في النحو والمعجم :

تداخل اللغة هو ظاهرة ناتجة عن اتصال اللغات : ويتألف من التأثير الذي يمارسه نظام لغوي واحد (مجموعة متنوعة من اللغات) على نظام لغوي آخر.

وللتوارد صلة وثيقة بالمعجم والنحو ، ومن ثم فإن له نوعين : الأول : التوارد المعجمي ، والثاني : التوارد النحوي ، وصلة التوارد بالمعجم هي أن كل مدخل معجمي ينبغي أن يُمهد لشرحه بذكر مجموعة من الخصائص المعجمية التي تحدد توارده المعجمي : أي مصاحبة لمدخل أو مداخل أخرى ، كما يذكر له مجموعة من الخصائص النحوية لتحديد توارده النحوي.

ويُسهم التوارد في اتساق الألفاظ عبر الروابط الدلالية بين مفرداته ، فهو : انتظام العلاقة المعجمية بشكل يحقق الدلالة النصية المطلوبة ، والذي يكون عن طريق معرفة ما يقوم بين مفردات المعجم من روابط تجعلها تقع بأصناف متميزة وفيه يلتقي نوع بنوع آخر فيصبح للكلمة من هذا والكلمة من ذاك وأن يجتمعا في الكلمة الواحدة ، ويُعرف على أنه الورد المتوقع أو المعتاد لكلمة ما مع ما يناسبها أو يتلاءم معها من الوحدات الأخرى<sup>4</sup>، كذلك

<sup>1</sup> ينظر : علم الدلالة إطار جديد : بالمر ، ترجمة : د.صبري إبراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية ، 1995م : 145-154.  
<sup>2</sup> ينظر : اللغة العربية بين التهجين والتهذيب – الأسباب والعلاج : المجلس الأعلى للغة العربية ، 2010م : 21.  
<sup>3</sup> ينظر : التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم : محمد غالي ، الطبعة الأولى ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، 1987م : 156-157.

<sup>4</sup> ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1998م : 216.

فإنه ظهور العناصر اللغوية في النص نفسه وفي موضع محدد<sup>1</sup>، كما قام النحويون بعلاج القضايا التي يأتي فيها التوارد عمومًا، والتي منها:

1- توارد شرطين على جواب واحد، قال ابن هشام: «علم أنه يجوز أن يتوارد شرطان على جواب واحد في اللفظ على الأصح<sup>2</sup>، وكقوله تعالى "ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم، إن كان الله يريد أن يغويكم"<sup>3</sup>، وقوله سبحانه "وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفترقكم الذين كفروا"<sup>4</sup>، فاختلف النحويون في جعل الجواب للشرط الأول أو للشرط الثاني أو لمجموع الشرطين<sup>5</sup>.

2- توارد عاملين على معمول واحد، فقد ذهب البصريون إلى عدم جواز ذلك<sup>6</sup>، ومثاله قولك: «إن زيدًا وبشرًا منطلقان، فالخبر (منطلقان) معمول (إن) من حيث أنه خبر عن (زيد)، ومعمول المبتدأ أو الابتداء من حيث أنه خبر عن (بشر)، ولا يجوز توارد عاملين على معمول واحد، قال جمال الدين الأردبيلي: لا يجوز أن يُقال: «إن زيدًا وبشرًا منطلقان، لأنه يلزم منه تواد العاملين على معمول واحد وهو منطلقان»<sup>7</sup>.

3- توارد النفي والإيجاب على حكم واحد، جاء هذا في كلام ابن الخباز، قال: «ومعنى (لكن) الاستدراك وحققها أن تتوسط بين جملتين: إحداهما: موجبة، والأخرى: منفية، بشرط توارد النفي والإيجاب على حكم واحد، تقول: لم يقم زيدٌ، لكن عمراً قام، وقام زيدٌ لكن عمراً لم يقم، ولا يجوز: قام زيدٌ لكن عمراً يأكل، لأن القيام وعدم الأكل غير متنافيين»<sup>8</sup>.

4- توارد (أن) المفتوحة و(إن) المكسورة على المحل الواحد، فقد قرئ بالوجهين<sup>9</sup>، قوله تعالى «أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى»<sup>10</sup>.

يتضح مما سبق أن التوارد عند النحويين: دخول شئيين على أمر واحد في سياق واحد، ولا يُستعمل عندهم في سياقين مختلفين، وبذلك فإنه يمكن أن يُقال: «أن توارد النفي والإثبات على الجملة يأتي بمعنى دخول النفي والإثبات عليها إما في سياق واحد بأن تُذكر فيه مرتين: مرة منفية ومرة مثبتة، وإما في سياقين مختلفين بأن تُذكر منفية في سياق ثم تُذكر هي نفسها بلفظها أو بمعناها مثبتة في سياق آخر.

<sup>1</sup> ينظر: المعجم الموحد للمصطلحات اللسانية: تأليف نخبة من اللغويين العرب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 2002م: 31.

<sup>2</sup> ينظر: «اعتراض الشرط على الشرط: ابن هشام الانصاري (761هـ)، تحقيق: عبد الفتاح الحموز، الطبعة الأولى، دار عمار، عمان - الأردن، 1406هـ - 1986م: 31.

<sup>3</sup> سورة هود: الآية: 34.

<sup>4</sup> سورة النساء: 101.

<sup>5</sup> ينظر: بيان حكم الربط: 486-521، واعتراض الشرط على الشرط: 41-54، ومسألة اعتراض الشرط للشرط بين الواقع اللغوي والفكر النحوي: سعد الدين بن يوسف المضيائي، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد 15، العدد الثاني، 1434هـ - 2013م: 14-19.

<sup>6</sup> ينظر: تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد: ابن هشام الانصاري (761هـ)، تحقيق: عباس مصطفى الصالحي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، 1406هـ - 1986م: 372-373.

<sup>7</sup> ينظر: شرح الأنموذج في النحو: جمال الدين محمد عبد الغني الرديبيلي (647هـ)، تحقيق: حسين عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة: 177.

<sup>8</sup> ينظر: توجيه اللمع: أحمد بن الحسين الخباز (639هـ)، تحقيق: فايز زكي محمد دياب، الطبعة الثانية، دار السلام، مصر، 1428هـ - 2007م: 149.

<sup>9</sup> ينظر: قرأ حمزة (إن) بكسر الهمزة على أنها شرطية، وقرأ الباقر (أن) بفتح الهمزة على أنها مصدرية، ينظر: السبعة في القراءات: 193.

<sup>10</sup> سورة البقرة: الآية: 282.

## ثانياً : التوارد في الشعر والأدب :

تنبّه النقاد العرب قديماً إلى موضوع شغل ولا يزال يشغل النقاد في الوقت الحاضر ألا وهو ما يسمى بـ (توارد الخواطر = التخاطر) أو (المواردة) وهي مفاعلة من قولهم : (هما يتواردان الحوض) ، أي يرد منه هذا ، ويرد منه هذا ، أمّا في اصطلاح علماء البيان - فهي : أن يتفق الشعاران سواء كانا متعاصرين أو كان أحدهما متأخراً عن معنى واحد يرد عند كليهما بلفظٍ واحدٍ دون أخذٍ أو سماعٍ<sup>1</sup>.

ويبدو أنّ مصطلح المواردة أو التوارد كما اصطلح عليه النقاد العرب مصطلح غامض يستحق وقفة عنده ، لما يحتاجه من تفسير وتوير ، فهو مصطلح وثيق الصلة بعملية الابداع النفسي وإن لم يربطه النقاد العرب ربطاً مباشراً بهذه العملية.

فطن بعض النقاد العرب إلى موضوع توارد الخواطر وربطوه بذاكرة الشاعر ، فقد أدركوا أنّه لا يمكن تجاهل الإطار الشعري المختزن في الذاكرة أو إغفال دوره في عملية الإبداع الفني ، يقول الأصمعي : لا يصير الشاعر في قريضة الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب ويسمع الأخبار ويعرف المعاني ، وتدور في مسامعه الألفاظ<sup>2</sup> ، فالألفاظ والمعاني والصور مشتركة بين الشعراء ، وقد قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : لولا أنّ الكلام يُعاد لنفد<sup>3</sup> ، ويظهر أنّ هذا التوارد كان شيئاً مسلماً به فقد سئل أبو عمرو بن العلاء عن الشعارين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ ، لم يلق واحد منهما صاحبه ولم يسمع شعره فقال : تلك عقول رجالٍ توافقت على ألسنتها<sup>4</sup>.

وقد سئل أبو الطيّب المتنبّي عن التوارد بين الشعارين فأجاب : الشعر جادة ورُبما وقع الحافر على موضع الحافر<sup>5</sup>. وفي القرن الثالث الهجري نجد أنّ ابن طباطبا ينبّه إلى فكرة الإطار الشعري ، وهي فكرة وثيقة الصلة بموضوع هذا البحث مؤكداً بأنّ محفوظ الشاعر ممن سبقه شعراً ونثراً يُنعش خياله ويُغني ذاكرته مما يعينه على إبداع صورته وأفكاره ، فهو حين يديم نظره في أشعار القدماء فإنّ معانيها تلتصق بفهمه وتُصبح مواداً لطبعه ويتمكن لسانه من ألفاظها ، فإذا ما جاش فكره بالشعر ، أدى إليه حصيلة ما استفاده مما نظر فيه من تلك الأشعار ، فكانت تلك الحصيلة كالطيب المركب من أخلاط طيب كثيرة فيستغرب عيانه ويغمض مستنبطه<sup>6</sup> ، ومما لا شك فيه أنّ ابن طباطبا يُدرك ما لهذا الحفظ من ضرورة في إغناء معجم الشاعر من الصبغ والتراكيب الجاهزة والمعاني المتداولة<sup>7</sup>.

ولعلّ ابن طباطبا كان يلتمس العذر لمحدثي الشعراء فيما توافقت خواطرهم مع خواطر من سبقوهم ، إذ أنّ الأقدمين سبقوهم إلى كثيرٍ من المعاني والصور ، فأصبح فضاء الشعر أضيق عليهم ، وهذا يذكرنا بقول الإمام

<sup>1</sup> ينظر : الطراز : يحيى بن حمزة اليمني (745هـ - 1344م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت : 169/3-170.  
 ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه : أبو علي الحسن رشيق القيرواني (456هـ - 1063م) ، تحقيق : محمد قرقران ، دار المعرفة ، بيروت ، 1988م : 363-362/1.  
<sup>2</sup> ينظر : الصناعيتين : أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (395هـ - 1004م) ، تحقيق : علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، 1986م : 196.  
<sup>3</sup> ينظر : حلية المحاضرة في صناعة الشعر : أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي (388هـ - 1998م) ، تحقيق : جعفر الكتاني ، بغداد ، 1979م : 45/2 ، والعمدة : 1052/2 ، ويُنسب هذا القول أيضاً إلى الأصمعي ، يُنظر : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني (502هـ - 1108م) ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت : 86/1.  
<sup>4</sup> ينظر : العمدة : 1052/2.  
<sup>5</sup> ينظر : عيار الشعر : محمد بن أحمد العلوي ابن طباطبا ، شرح وتحقيق ، عباس عبد الساتر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1982م : 16.  
<sup>6</sup> ينظر : النظم الشفوي في الشعر الجاهلي : مونرو ، ترجمة : فضل بن عمار العماري ، الطبعة الأولى ، كلية الآداب ، منشورات دار الإصالة للثقافة والنشر ، 1407هـ - 1987م : 10.

علي (عليه السلام) سابق الذكر : لولا أنّ الكلام يُعاد لنفد<sup>1</sup> ، يقول ابن طباطبا : والمحنة على شعراء زماننا في أشعارهم أشدّ منها على من كان قبلهم لأنهم قد سبقوا إلى كلّ معنىٍ بديعٍ ولفظٍ فصيحٍ وحيلةٍ لطيفةٍ وخلاصةٍ وساحرة<sup>2</sup>.

وتتضح أهمية هذا الإطار الذي تنبّه له نقاد العرب القدماء في عملية الإبداع الفني من خلال أقوال المحدثين ، يقول يوسف مراد : وإن لم يكن الشاعر أو الأديب أو الفنان ذو الثقافة الواسعة قد أجهده عقله باكتسابها لما أُتيح له أن يصوغ الكلمات الفنية التي لا تفقد روعتها ، بل تزداد جمالاً كلّما اتسعت آفاقها الثقافية وأصبحت أوسع وأفهم<sup>3</sup>.

ولعلّ الامدي هو من أوائل النقاد العرب الذين أدركوا أمر التوارد وربطوه بذاكرة الشاعر خاصة بين أبناء البيئة الواحدة ، فها هو يشير إلى توارد الخواطر على المعنى بين أبناء البيئة الواحدة قائلاً : وغير منكر لشاعرين أكثرين متناسبين ومن أهل بلدين متقاربين أن يتفقوا في كثيرٍ من المعاني ، ولا سيما ما تقدم الناس فيه وتردد في الأشعار ذكره ، وجرى في الطباع والاعتقاد من الشاعر وغير الشاعر استعماله<sup>4</sup>.

ويُسهب صاحب الكتاب في شرح ما يقوله الأمدي فيقول : الإطار الثقافي للشاعر الذي يشمل الطبيعة الاجتماعية واللغوية يلعب دوراً حاسماً في عملية الإبداع الفني ، إذ أنّ الشاعر يخترن صورته وأفكاره وأهمها بالطبع الأشعار التي حفظها أثناء حياته بما تشتمل عليه من قوالب صياغية وعبارات متداولة بطريقة لا واعية ثمّ تغوص هذه الصور والأفكار في العقل الباطن للفنان ، فيما يسمى بمرحلة الاختمار أو الاحتضان إلى أن تحين اللحظة المناسبة عندما تُثار لحظة الإبداع أو الإشراق ، ومن هنا يحصل التماثل بين بعض أفكاره وصوره مع الشعراء الذين كان قد قرأ لهم وحفظ أشعارهم.

وهذا يطابق ما توصل إليه العلم الحديث من حيث تأثير العوامل الطبيعية ، إن أنّ لكل بيئة تكيف أسلوب وعقلية كما تكيف بنيتها العضوية<sup>5</sup> ، وفي معرض دفاعه عن البحري ضد من اتهمه بالسرقة من أبي تمام يعزز إدراكه لارتباط التوارد بمخزون ذاكرة الشاعر من قراءات وانطباعات ، يقول : إنّه غير منكر أن يكون أخذ منه لكثرة ما كان يردّ على البحري من شعر أبي تمام فيعتلق معناه<sup>6</sup> ، ويضيف قائلاً : فينبغي أن تتأملوا محاسن البحري ومختار شعره والبارع من معانيه والفاخر من كلامه ، فإنّكم لا تجدون فيه على غزوه وكثرته حرماً واحداً مما أخذه عن أبي تمام ، وإذا كان ذلك إنّما يوجد في المتوسط من شعره ، فقد قام الدليل على أنّه لم يعتمد أخذه ، وأنّه كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره فيورده<sup>7</sup> ، ومن يتمعن في قوله (يعتلق) و (يلتبس) يدرك فهم الأمدي لما قدمناه بشأن أمر التوارد وأمر القوالب الصياغية المتداولة ، وقد أبدى الحاتمي شكّه في أمر التوارد التام على اللفظ والمعنى مستبعداً صحة ما يروى من توارد بين جرير والفرزدق ، ما ورد في قوله : ومما يبعد في نفسي اتفاق مثله حتى لا يقع فيه تباين ولا تغاير.

ويلاحظ أنّ القاضي أغفل أمر المعاصرة في حديثه عن التوارد ولعلّه كان قاصداً لأنّ الأديب قد يحيا في عصره بجسده فقط ، بينما يحيا بأفكاره وعواطفه في عصر أديب قديم ، فيكون أدبه وأفكاره من خلال مطالعته وقراءته

<sup>1</sup>ينظر : الصنائع : 196.

<sup>2</sup>ينظر : عيار الشعر : 15.

<sup>3</sup>ينظر : مبادئ علم النفس العام : يوسف مراد ، الطبعة الأولى منشورات مجموعة علم النفس التكاملية ، دار المعارف ، مصر ، 1948م : 248-249.

<sup>4</sup>ينظر : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري : أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي (370هـ - 980م) ، تحقيق : السيد أحمد سقر ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، 1972م : 66/1.

<sup>5</sup>ينظر : مشكلة السرقات في النقد العربي - دراسة تحليلية مقارنة : محمد مصطفى هدارة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1958م : 290-291.

<sup>6</sup>ينظر : الموازنة : 55/1.

<sup>7</sup>ينظر : المصدر نفسه : 56/1.

أكثر مما يكونه من مشاهداته وملاحظاته ، ولهذا فقد توارد شاعر حديث مع شاعر قديم كما يتوارد مع شاعر معاصر له<sup>1</sup>.

ويرى محمود السمره أنّ ما يعنيه القاضي الجرجاني هو أنّ الشاعرين يتأثران بتأثير العصر الواحد والبيئة الواحدة والثقافة الواحدة وقد يتفقان في البيت الواحد في بعض المعنى وبعض الألفاظ ، أما توارد الشاعرين توارداً تاماً على المعنى واللفظ دون أن يسمع الواحد منهما بشعر الآخر فهذا مما لا يمكن تصوره ، لأنه لو كان القاضي فهم من مصطلح (توارد الخواطر) ما فهمه أبو عمر بن العلاء حين سوّغ اتفاق الشاعرين لفظاً ومعنى بقوله : تلك عقول رجال توافقت على ألسنتها<sup>2</sup> ، أو ما فهمه المتنبي عندما قال : الشعر جادة ، وربما وقع الحافر على موضع الحافر<sup>3</sup> ، لكان بذلك قد ألغى ما يسمى بنظرية السرقات من أساسها ، ولكن يبدو أنّه فهم من (توارد الخواطر) غير ما فهمه أبو عمرو بن العلاء والمتنبي وغيرهما ، لأنه يرى في حديثه عن السرقة المذمومة أنّ اتفاق اللفظ والمعنى من أسوأ أنواع السرقة ، ويرى السمره أنّ مثل هذا التعليل لمفهوم التوارد عند القاضي يُضفي على هذا المصطلح مفهوماً فنياً له قيمته في الإبداع الفني<sup>4</sup>.

وكما أدرك الأمدي والقاضي والجرجاني دور الظروف الطبيعية والاجتماعية في الإنتاج الأدبي وبالتحديد في توافق الخواطر ، فإنّ أبا الهلال العسكري قد أدرك دور النوع الواحد والبيئة الواحدة في تقارب الخواطر ، فيقول : وإذا كان القوم في قبيلة واحدة وفي أرض واحدة فإنّ خواطرهم تقع متقاربة كما أنّ أخلاقهم وشمائلهم تكون متماثلة أيضاً<sup>5</sup>.

ويبدو أنّ أبا الهلال العسكري متأثراً بالقاضي الجرجاني ، فهو يعترف بتوارد الخواطر على المعنى الواحد ، فهو يقول : وقد يقع للمتأخر معنى سبقه إليه المتقدم من غير أن يلّم به ، ولكن كما وقع للأول وقع للآخر<sup>6</sup> ، وهو يؤكد ذلك بما خبره من نفسه عن قوله : وهذا أمر عرفته من نفسي فلست أمترى فيه.

ويؤمن أبو حيان التوحيدي بتوارد الخواطر بين الشعراء ، لأنه يرى أنّ الألفاظ والمعاني مشتركة عموماً وليس غريباً على من يدرك طبيعة العقل الإنساني أن يجد معنى أو لفظاً بعينهما عند شاعرين أو أكثر ، وهكذا فإنّه لا يقبل أن يُتهم الشاعر دائماً بالسرقة لكونه وقع على لفظ أو معنى سبق إليهما<sup>7</sup>.

أما ابن حزم الأندلسي فيذهب إلى إنكار حقيقة التوارد وعدم اقتناعه بأحاديثها على الرغم من أنّه كما يبدو لم ينكر مطلقاً احتمال توارد الشاعرين في نصف بيت وإن كان في القليل النادر ، يقول : والذي شاهدناه اتفاق شاعرين في نصف بيت ، شاهدنا ذلك مرتين من عمرنا فقط ، وأخبرني من لا أثق به أنّ خاطره وافق خاطر شاعر آخر في بيت كامل واحد ولست أعلم أنّ ذلك صحيحاً<sup>8</sup>.

<sup>1</sup>ينظر : النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني : عبدة عبد العزيز فلقيلة : 307 ، وينظر : مشكلة السرقات : هدارة : 289.

<sup>2</sup>ينظر : حلية المحاضرة : 45/2.

<sup>3</sup>ينظر : العمدة : ابن رشيق : 1052/2.

<sup>4</sup>ينظر : الأديب الناقد : القاضي الجرجاني ، الطبعة الثانية ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1979م : 198-199.

<sup>5</sup>ينظر : الصنائع : 230.

<sup>6</sup>ينظر : المصدر نفسه : 196.

<sup>7</sup>ينظر : البصائر والذخائر : 313/2.

<sup>8</sup>ينظر : الإحكام في أصول الأحكام : علي بن أحمد ابن حزم (456هـ - 1063م) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1345هـ : 108/1 ، نقلاً عن إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، الطبعة السادسة ، دار الثقافة ، بيروت ، 1981م : 149.

## الخاتمة

- قبل الانتهاء من هذا البحث يمكننا حصر ما وصل إليه من نتائج بما يأتي :
- 1- يعدّ مصطلح (التوارد) من المصطلحات غير السائدة في الاستعمال اللفظي المعرفي.
  - 2- تنوّع الروابط بين مفرداته ضمن السياق بناءً على الأساليب والدلالات المشيرة إليه.
  - 3- تناول هذا البحث لهذا المصطلح بين ماهيته وتنوّع استعماله له من الأهمية البالغة له.
  - 4- مهم جداً معرفة ما يُشير إليه من دلالات مختلفة عند استعماله بحسب وروده.
  - 5- يمتلك التوارد معاني متداخلة مع ألفاظ ذات استعمال متكرر وممتزج بين العلوم المختلفة.
  - 6- يحمل في الغالب معاني : الحضور والورود والإقبال في السياقات والأشياء والأشخاص.
  - 7- يعبر في داخله عن المعنى ذاته بالألفاظ ذاتها التي تكون في الوقت ذاته متشابهة الأشكال أيضاً.

## التوصيات

- 1- اتساع البحث عنه ومحاول الإمام بمعانيه المختلفة بحسب وروده ضمن سياقه.
- 2- يجب النظر إليه كظاهرة للاعتناء بها من الجوانب اللغوية والمعرفية المتنوعة.
- 3- ضرورة التمييز بينه كظاهرة وبين المصطلحات الأخرى المرتبطة به لغويًا ومعرفيًا.

## المصادر والمراجع

- 1- الإحكام في أصول الأحكام : علي بن أحمد بن حزم (456هـ - 1063م) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1345هـ.
- 2- الأديب الناقد : القاضي الجرجاني ، الطبعة الثانية ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1979م.
- 3- اعتراض الشرط على الشرط : ابن هشام الانصاري (761هـ) ، تحقيق : عبد الفتاح الحموز ، الطبعة الأولى ، دار عمار ، عمان - الأردن ، 1406هـ - 1986م.
- 4- البيان في روائع القرآن : تمام حسان ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1993م.
- 5- تاريخ الأدب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة : احسان عباس ، الطبعة السادسة ، دار الثقافة ، بيروت ، 1981م.
- 6- تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد : ابن هشام الانصاري (761هـ) ، تحقيق : عباس مصطفى الصالحي ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، 1406هـ - 1986م.
- 7- توجيه اللمع : أحمد بن الحسين الخباز (639هـ) ، تحقيق : فايز زكي محمد دياب ، الطبعة الثانية ، دار السلام ، مصر ، 1428هـ - 2007م.
- 8- التوليد الدلالي في البلاغة و المعجم : محمد غاليم ، الطبعة الأولى ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، 1987م.
- 9- حلية المحاضرة في صناعة الشعر : أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي (388هـ - 1998م) ، تحقيق : جعفر الكتاني ، بغداد ، 1979.
- 10- دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب : تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1991م.

- 11- شرح الأنموذج في النحو : جمال الدين محمد عبد الغني الاردبيلي (647هـ) ، تحقيق : حسين عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب ، القاهرة.
- 12- الصناعيتين : أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (395هـ - 1004م) ، تحقيق : علي البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، 1986م.
- 13- الطراز : يحيى بن حمزة اليميني (745هـ - 1344م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- 14- العربية بين البُعد اللغوي والبعد الاجتماعي : مصطفى حركات ، دار الأفاق.
- 15- علم الدلالة إطار جديد : بالمر ، ترجمة : صبري ابراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية ، 1995م.
- 16- العمدة في محاسن الشعر وأدابه : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (456هـ - 1063م) ، تحقيق : محمد قرقران ، دار المعرفة ، بيروت ، 1988م.
- 17- عيار الشعر : محمد بن أحمد العلوي ابن طباطبا (322هـ - 993م) ، شرح وتحقيق : عباس عبد الساتر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1982م.
- 18- فقه اللغة وخصائصها : اميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، 1982م.
- 19- القاموس المحيط : الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان.
- 20- لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (711هـ) ، تحقيق : عبد الله علي كبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، 1986م.
- 21- اللغة العربية بين التهجين والتهذيب - الأسباب والعلاج : المجلس الأعلى للغة العربية ، 2010م.
- 22- اللغة العربية معناها ومبناها : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1998م.
- 23- مبادئ علم النفس العام : يوسف مراد ، الطبعة الأولى منشورات مجموعة علم النفس التكاملية ، دار المعارف ، مصر ، 1948م.
- 24- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الاصبهاني (502هـ - 1108م) ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت.
- 25- مسألة اعتراض الشرط للشرط بين الواقع اللغوي والفكر النحوي : سعد الدين بن يوسف المضياي ، مجلة الدراسات اللغوية ، المجلد 15 ، العدد الثاني ، 1434هـ - 2013م.
- 26- مشكلة السرقات في النقد العربي - دراسة تحليلية مقارنة : محمد مصطفى هدارة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1958م.
- 27- معجم الرائد : جبران مسعود ، الطبعة السابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1992م.
- 28- معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار عبد الحميد عمر (1424هـ) ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، 2008م.
- 29- المعجم المؤحد للمصطلحات اللسانية : تأليف نخبة من اللغويين العرب ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الطبعة الثانية ، الدار البيضاء ، 2002م.
- 30- المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، الطبعة الرابعة ، مصر ، 1425هـ - 2004م.
- 31- الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري : أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي (370هـ - 980م) ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، 1972م.
- 32- النظم الشفوي في الشعر الجاهلي : مونرو ، ترجمة : فضل بن عمار العماري ، الطبعة الأولى ، كلية الآداب ، منشورات دار الاصاله للثقافة والنشر ، 1407هـ - 1987م.